

جذور وأصول الفكر الإيقاعي (12)

مقتطفات من نقد كتابي:

"قراءات في نجيب محفوظ" (6)

طبيعة الوجود وامتزاز الرمز ووعي الحلم

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD260617.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/06/26
السنة العاشرة - العدد: 3586



مقدمة

علاقتي بالرموز والترميز علاقة سيئة أنا مسئول عن جانب كبير منها، وقد بدأت الحذر من التركيز على الكلام كأنه اللغة حاملة المعنى وشفرة الوعي، وذلك حين وصلتني المبالغة في الانغلاق داخل سجن الألفاظ، ثم انتقل الحذر إلى لغة المعاجم التي أصبحت وصية على تفرغ المعاني وإيماءات الرمز، ثم تمادى الحذر حين حلّ التشخيص محل المريض، وحلّ التصنيف محل النفسراضية والغائبة في ممارستي لمهنتي.

ثم إنني تأكدت من تطوري هذا حين رحت أبحث في ملف الأحلام وأبعادها ومستوياتها فإذا بي أضع كل تشكيلات وتفسيرات الأحلام بين قوسين، وقد وضعت فروضاً التي عرضت أغلبها في نشرات ملفات الحلم من (نشرة 2012-12-23 إلى) (نشرة 2015-9-23).
أما في مجال النقد الأدبي فقد بدأت حواراً ومعارضاتى بأطروحتي عن "الإيقاع الحيوي ونبض الإبداع (1)" وهي التي تناولت فيها مقارنات تفصيلية بين مستويات الشعر ومستويات الحلم ومستويات النقد (وبعض مستويات الجنون)

أكرر أنني وأنا أراجع هذا العمل الحالي للطبع الورقي انتهيت كيف تسحبت إلى منظومات معرفتي تلك الفروض المتصاعدة عن اللغة، والوعي، والحلم، من نقدي حتى لمحفوظ فقد وجدت وأنا أتخفظ - بتردد شديد - على بعض مبالغاته في اللجوء إلى الرمز، مع أن وعيه الإبداعي التقط هذه المبالغات في كثير من الأحيان وكان ذلك سبباً في عدم التماهي،
أرجو أن يجد قارئ نشرة اليوم بعض أو أغلب معالم ذلك:

قبل المقتطف الخاص عن دور الرمز ومحدوديته

اقتحم نجيب محفوظ في هذا العمل مستويات الوعي الأخرى حتى تبينت له معالمها "كما هي" لا كما تشير إليه أو تدل عليه فقط، ولكن القارئ لا يستطيع بسهولة أن يخلص نفسه من النقاط الإشارات الدالة على رموز شائعة في كتابات محفوظ السابقة بصفة عامة، وتلاحقنا هذه الدلالات سواء قصد إليها محفوظ واعياً، أو فرضت نفسها عليه في أثناء إبداعه وهو يكشف الغطاء عن طبقات الوعي الأخرى، وقد ترجع بعضها أو جميعها إلى إسقاطات القارئ نفسه ناقداً كان أو متلقياً عادياً.

المقتطف (بحروفه)

من القراءة النقدية (مع تعقيب موجز جداً)

.....

نبدأ بالقصة الأولى "أهل الهوى" كمثال وتحدّ معاً:

...فالمغزى المباشر يقول إن القبو هو الرحم، وأن السائر على أربع هو الطفل، وأن المسيرة كلها

علاقتي بالرموز والترميز
علاقة سيئة أنا مسئول عن
جانب كبير منها

بدأت الحذر من التركيز
على الكلام كأنه اللغة حاملة
المعنى وشفرة الوعي، وذلك
حين وصلتني المبالغة في
الانغلاق داخل سجن الألفاظ

انتقل الحذر إلى لغة المعاجم
التي أصبحت وصية على
تفرغ المعاني وإيماءات
الرمز، ثم تمادى الحذر حين
حلّ التشخيص محل المريض،
وحلّ التصنيف محل
النفسراضية والغائبة في
ممارستي لمهنتي

هو يغترفه من إغراءات
الحياة الدنيا، ويفضل عبد الله
نتيجة انسياقه إلى التماهي
في الطبقة السطحية من اللذة
الواحدة بالخلود الزائف،
وكذلك نتيجة لتاريخ قاهر
تاجه عنه مع ما تاجه من
ذاكرته

ما علاقة "الدنيا اللذة" بذئاب القبور؟ وما علاقتها بالعفاريت؟ وما علاقتها بمستويات الغرائز؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة تمنعنا من القفز إلى اختزال رمزي مسطح

الدنيا تستعمل الغريزة في عملية ترويض وسلب نكوصي، ولا تطلقها في عمليات التطوير والتكامل، وبذا تصعب الفطرة "براءة عمياء" وتصبح الغريزة زواج تنحني لها ثم تركبها، ثم هي تستعمل الذكاء (السحر) لتسيطر على العدوان لصالح أغراضها.

العدوان في الظلام ذئب كاسر، ومع ذلك فهو تحت رحمتها، على أن ثم عدوان آخر تخاف منه، وهو عدوان الفطرة الزوبعة التي لا تخاف ولا ترؤض إلا بالقمع بدروس الدين (وليس بالدين)، وبالانهماك الجنسي وليس الارتواء الجنسي، ثم هي في النهاية "تعشق حتى الموت، وعشقها لا دواء له" (ص19) فهي العشق الموت أي هي الموت

لست راضيا عن هذا الاستعمال الرمزي، أو هذا التفسير الرمزي، وكلما وجدت حلقة مفقودة في التسلسل، أو ثغرة ضعيفة في التفسير، زاد أملى في أن أكون مخطئا وأن تتخطاني المسألة برمتها دون تفسير

هي الحياة الفردية المحدودة، وأن النهاية هي كفن أسود "متلفعا في عباءته السوداء" (ص45) وقد أوتى الكتاب بشماله "حاملا بيسراه حقيبة متوسطة الحجم" (ص45)، وبالتالي تكون نعمة الله الفنجري هي الدنيا(2)، وتكون علاقة عبدالله بنعمة الله هي علاقة الامتحان الذي ابتلى به ابن آدم (ابن ناس) وهو يغترف من إغراءات الحياة الدنيا، ويفشل عبد الله نتيجة انسياقه إلى التمداد في الطبقة السطحية من اللذة الواعدة بالخلود الزائف، وكذلك نتيجة لتاريخ قاهر غاب عنه مع ما غاب من ذاكرته.

ولكن:

ما علاقة "الدنيا اللذة" بذئاب القبور؟ وما علاقتها بالعفاريت؟ وما علاقتها بمستويات الغرائز؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة تمنعنا من القفز إلى اختزال رمزي مسطح.

ومع ذلك، فالدنيا (نعمة الله الفنجري) تستعمل عذوبة الفطرة وقوتها للأغراض الأدنى دون فرص النمو الأعد، وتستعمل الدين للتخفيف والتطويع "الفتى يساق كل عصر لتلقى دروس الدين" (ص14)، "المهم أن تعلمه كيف يخاف" (ص14)، وبذا يناسب مقاس الدنيا لا أطول ولا أقصر، والدنيا تستعمل الغريزة في عملية ترويض وسلب نكوصي، ولا تطلقها في عمليات التطوير والتكامل، وبذا تصبح الفطرة "براءة عمياء" وتصبح الغريزة زواج تنحني لها ثم تركبها، ثم هي تستعمل الذكاء (السحر) لتسيطر على العدوان لصالح أغراضها.

فالعدوان في الظلام ذئب كاسر، ومع ذلك فهو تحت رحمتها، على أن ثم عدوان آخر تخاف منه، وهو عدوان الفطرة الزوبعة التي لا تخاف ولا ترؤض إلا بالقمع بدروس الدين (وليس بالدين)، وبالانهماك الجنسي وليس الارتواء الجنسي، ثم هي في النهاية "تعشق حتى الموت، وعشقها لا دواء له" (ص19) فهي العشق الموت أي هي الموت .

وبرغم كل ذلك، فإنني لست راضيا عن هذا الاستعمال الرمزي، أو هذا التفسير الرمزي، وكلما وجدت حلقة مفقودة في التسلسل، أو ثغرة ضعيفة في التفسير، زاد أملى في أن أكون مخطئا وأن تتخطاني المسألة برمتها دون تفسير.

وقد يظهر الرمز جزئيا بشكل متواضع في لمحة عابرة مثل رؤية عبد الفتاح "صورته على ضوء البطارية الخافت جسما بلا رأس" (ص65) ثم بحثه عنه داخل الدولاب ورؤيته "بدله المعلقة مشتبكة في معركة بالأبدى والأرجل" (ص66) بما يكاد يشير مباشرة إلى ذهاب وحدة العقل بالتفكك إلى وحداته الأولية (ذواته) المتصارعة المتشابكة بلا رئيس أو رأس منظم.

وكذلك ما ذهب إليه وأعلنه من ترادف بين "فقد البيت" وفقد العقل "أفقدت بيتي أم فقدت عقلي" (ص127) مما يحمل جرعة زائدة من "المباشرة".

لكن الإلاحاح على الرمز بقدر مفرط من المباشرة يصل إلى صورة مرفوضة (3) مثلما أوضحت أضعف قصص المجموعة "قسمتي و نصيبي"، فشتان بين الصورة الرمزية لهذا الانقسام في الفكر والعقل دون بقية الجسد، وبين التعدد الذي ظهر في "العين والساعة"، وبدرجة أقل في "الليلة المباركة" أو "رأيت فيما يرى النائم"، لكن الجدير بنا هو أن نحترم قدرة محفوظ على تنبيهنا- ولو برمز مباشر- إلى طبيعة جديدة لانقسام الكيان البشري، لا يبين عقل وعاطفة، أو بين شر وخير، أو بين ضمير ومذنب، وإنما جعلها بين طبع عملي انبساطي، "يفضل اللعب فوق السطح ومعاكسة السابلة والجيران" (ص92) وطبع انطوائى مفكر يحب أكثر فأكثر "مزيدا من القراءة والاطلاع"، ويبدو أن تأثر محفوظ بيونج (4) في هذه القصة كان له وضع خاص، فقد رفض التوحد بالذوبان "ذوبان أحدكما في الآخر مرفوض" (ص94) واجتهد في محاولة إلى "الوفاق" بالحب بين النصفين وكأنه يعنى تسوية ما ولكنه لم يُشير إلى الأمل الأبعد في تكامل ولأفى بالتفرد Individuation (5) وجعل القصة تستمر على أنهما "تصفان" وليسا وجهين أو تنظيمين أو بنيتين "فعاش كل منهما نصف حياة، وتعلق بنصف

الإلحاح على الرمز بقدر مفرط
من المباشرة يصل الى صورة
مرفوضة

تمضى القصة لتعلن أن القضاء
على أحدهما بالإلغاء "الموت
فالتحنيط" هو الكبت
الغائر "موطن الحقيقة الباقية

سيعيق النصف الحي الباقي
ويهدده فيعيش "تحت سماء
ماجت بالغبار فلا زرقة ولا
سحب ولا نجوم" (ص104)، لا
يفعل شيئاً-مهما فعل- إلا أن
ينتظر الموت

لأن النشاط الجنسي هي تلاحمه
مع الوعي الأشمل هو مرتبط
نوعاً وكما باختلاف البنية
المقابلة للتعدد داخل الكيان
البشرى، فالجنس ليس مجرد
آلة منفذة تخدم الفكر
السائد، بل هو جزء لا يتجزأ
من البنية "الفكرية"
الدوافعية الجنسية هي آن

فرحت أن حبي لنجيب
محفوظ، وتلمذتي على
إبداعه، واستلها من نبض
وعيه لم يحل أي منذ ذلك
بينى وبين أن أعلن موقفى
بهذه الصراحة

إننى حين معرفته شخصياً لاحقاً،
وتطرق الحوار بيننا بالصدفة
إلى بعض هذه الملاحظات
رحب برؤيتى، ولا أحنى
بذلك أنه وافق عليها، وإنما
شعرت أنه فرح بها

إن نشاطى هي النقد هدانى

(أمل "ص103).

وهذا أيضاً من آثار تجزئ الذات الى أعضائها دون النظر فى عمقها التركيبى فى شكل ذوات
(وليست أجزاء أو أنصاف) متكاثفة متداخلة، وبتقدم التباعد بين النصفين يتحدد التنافر ويتعمق
الشق النصفى حتى ينتهى إلى استقطاب مضيق "نحن مختلفان تماماً" فإنك ان اخترت الحكومة
اخترت من فورى المعارضة "والعكس بالعكس" (ص102).

وتمضى القصة لتعلن أن القضاء على أحدهما بالإلغاء "الموت فالتحنيط" هو الكبت الغائر "موطن
الحقيقة الباقية" (ص103)، فهو سيعيق النصف الحي الباقي ويهدده فيعيش "تحت سماء ماجت بالغبار
فلا زرقة ولا سحب ولا نجوم" (ص104)، لا يفعل شيئاً-مهما فعل- إلا ان ينتظر الموت.

الرمزية هنا صارخة، ولم يخفف منها محاولات التجديد فى أبعاد الاستقطاب، والمباشرة مزعجة،
ويبدو هنا أن الوصاية المعرفية قد تقلت بوزنها على الحدس الفنى.

ولعل نجيب محفوظ- مع ذلك- فى حفاظه على واحدية النصف الأسفل بما يحمل من جنس كان قد
تجاوز "فرويد"، مثلما تجاوزه يونج، وإن كان فى نهاية الأمر قد أضعف- بشكل ما- إرادته الرمزية
القحة من القصة، لأن النشاط الجنسي فى تلاحمه مع الوعي الأشمل هو مرتبط نوعاً وكما باختلاف
البنية المقابلة للتعدد داخل الكيان البشرى، فالجنس ليس مجرد آلة منفذة تخدم الفكر السائد، بل هو
جزء لا يتجزأ من البنية "الفكرية الدوافعية الجنسية فى آن"

نقله إلى تعدد الذوات بعيداً عن الرمز

على أن تعدد الذوات يتضح فى هذه المجموعة، بشكل مباشر وهو ليس غائباً عن محفوظ ولا هو
ثانوى، ففى العين والساعة ظهر جلياً وقد أشرنا الى ذلك قبلاً، وفى "رأيت فيما يرى النائم" يظهر فى
حلم (6) مباشرة: "ودق الباب دقا متتابعاً، ففتحته، فخيل الى أنى أنظر فى مرآة" (ص151)، وفى
حلم (12) نرى التعدد فى شكل أرقى حيث كان من "جنس آخر" "صرخة أتتى فيما بدا لى"
(ص164)، أى أن الكيان الأنثوى فى الذكر استقل ثم واكب بعضهما البعض، فبعد حوار شديد القصر
يشتركان فى نفس التهمة ويمضيان معا "كشهابين فى ظلمة الليل".

التعقيب (2017)

وأنا أقرأ هذا الجزء وغيره فرحت أن حبي لنجيب محفوظ، وتلمذتى على إبداعه، واستلها من
نبض وعيه لم يحل أى منذ ذلك بينى وبين أن أعلن موقفى بهذه الصراحة كما ورد فى المقتطف،
وقد كان ذلك منذ أكثر من ثلاث قرن بل إننى حين معرفته شخصياً لاحقاً، وتطرق الحوار بيننا بالصدفة
إلى بعض هذه الملاحظات رحب برؤيتى، ولا أعنى بذلك أنه وافق عليها، وإنما شعرت أنه فرح بها.
أكرر من جديد:

إن نشاطى فى النقد هدانى فى مهنتى أن أقرأ النص البشرى ناقدا لا راصدا ولا مصنفاً
كما أن نشاطى فى مهنتى سمح لى أن أغوص إلى ما وراء الشكل وأن أتعامل مع طبقات وعى
المبدع، والنص: بما يمكن للنقد أن يضيفه: "يخطئ ويصيب"
ولكنه النقد.

- [1] يحيى الرخاوى "الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع" مجلة فصول - المجلد الخامس- العدد
الثانى-1985

- [2] يذهب أحد علماء النفس (فرج أحمد فرج) الى أن القبو هو الرحم وأن البداية هى الطفولة،
ولكنه يذهب - فى إصرار- إلى أن المسألة كلها هى حكاية علاقة الرجل بالمرأة، فنعمة الله الفنجري
هى المرأة الأم المقابلة لتخييل الأم (Phantasmere جابرييل ريبان)، وأنا لسنا إلا أمام قصة حب،
بالمعنى الشامل. (المرجع السابق ص 103)0

- [3] شعرت بنفس درجة الرفض إزاء الرمز المباشر كما ورد في آخر قصة قصيرة نشرها نجيب محفوظ في إبداع (مايو 1983 العدد الخامس- السنة الأولى 4-6) تحت عنوان "الفأر النرويحي".

- [4] كارل جوستاف يونج مدرسة علم النفس التحليلي وهو رائد مدرسة التحليل النفسي Analytical psychology وهي غير مدرسة التحليل النفسي الفرويدى Psychoanalysis

- [5] التفرد Individuation هو مصطلح يستعمله كارل جوستاف يونج ويعنى به عملية النمو لاحتواء التعدد وتوليف الجدل من الأقطاب المتنافرة مرحليا

فى مهنتى أن أقرأ النص
البشرى ناقدا لا راغدا ولا
مصنفاً

أن نشاطى فى مهنتى سمع
لى أن ألتوى إلى ما وراء
الشكل وأن أتعامل مع طبقاته
وعى المبدع، والنص: بما
يمكن للنقد أن يضيفه: "
بخطى ويصعب

*** **

إصدار الكتاب السنوي الرابع:

"شعـن: إنجازات أربعة عشرة عاماً من الكـدح"

(شامل كامل الإنجازات)

بمناسبة:

- الذكرى الرابعة عشرة لاطلاق الموقع العلمى "شبكة العلوم النفسية العربية"

- اختتام "الأسبوع السنوي الثاني لإصدارات" "شعـن" فى علوم وطب النفس " من 13 الى 20 جوان 2017



تحميل الكتاب السنوي الرابع (كامل الإنجازات)

- التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية"

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet14Years.pdf>

- التحميل من موقع المتجر الإلكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية"

http://www.arabpsynet.com/index.php?id_product=296&controller=product&id_lang=3